دور التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية في المجتمع الليبي

د. عائشة صالح محمد كجمان
قسم علم الاجتماع– كلية الآداب– جامعة بني وليد– ليبيا
aashiakagman@bwu.edu.ly

ملخص:

إن الهوية الثقافية لأي مجتمع هي مجموعة المبادئ الذاتية لدى الفرد والجماعة التي تعكس تراثهم الثقافي وتعبر عن كيان الفرد على المستوى الشخصي والوطني والمادي، ويمثل التراث الثقافي معظم الممارسات والتصورات والتعابير والمعارف التي تملكها المجتمعات منذ القدم وتعاقبت عليها الأجيال، ويسهم هذا التراث الثقافي من خلال المضامين التي يحملها في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع، هدفت هذه الدراسة إلى إبراز دور التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي، وتم التوصل إلى نتيجة مفادها: إن الحفاظ على التراث الثقافي مسئولية عامة، فهو ملك لجميع الناس ويسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية لأفراد المجتمع لكونه يضم النتاج الفكري والعادات والتقاليد وكل ما له قيمة من القيم الأدبية والفنية والعلمية.

الكلمات المفتاحية: الدور، الهوية، الهوية الثقافية، التراث، التراث الثقافي.

Summary:
The cultural identity of any society encompasses the collective self-principles of individuals and communities that reflect their cultural heritage and express their personal, national, and material existence. Cultural heritage represents the majority of practices, perceptions, expressions, and knowledge that societies have possessed since ancient times and have been passed down through generations. This cultural heritage contributes, through its contents, to the preservation of the cultural identity of the society. The aim of this study was to highlight the role of cultural heritage in preserving cultural identity. The descriptive method was employed, and the study reached the following conclusion:

Preserving cultural heritage is a shared responsibility as it belongs to all people and contributes to the preservation of the cultural identity of individuals within the society, encompassing intellectual creations, customs, traditions, and all valuable literary, artistic, and scientific aspects.

مقدمة:

يعد موضوع الهوية الثقافية من المواضيع المهمة التي شغلت بال العلماء والمفكرين في مختلف المجالات العلمية، نظراً لما لها من أهمية على المجتمع بمختلف فئاته، فالهوية الثقافية لأي مجتمع تمثل الإطار النفسي والفكري العام الذي يعبر عن وجوده الاجتماعي، وهي النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة.

إن لكل مجتمع ثوابت تمثل القاعدة الأساسية لبنائه وفي طليعة هذه الثوابت تأتي الهوية؛ لكونها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت، لكنها في الوقت نفسه تتميز بالتفرد نظرا لما تضمه الثقافة من مكونات، وتشكل هذه الثقافة إرثاً تاريخياً تجمع الأفراد في جماعة مميزة، إلى جانب روابط الدم والحيز الجغرافي والعادات والتقاليد، مما يؤثر في اسلوب تفكيرهم وسلوكهم وأفعالهم، حيث إن كل فرد داخل المجتمع يتأثر بهذه الثقافة، مما يتشكل لديه هوية ثقافية معينة.

فالهوية الثقافية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل وتمثل حجر الزاوية في تكوين المجتمعات القوية والمتماسكة، فإذا مُست هذه الهوية فسيعود أثرها على الفرد والمجتمع ويصبح خطراً يهدده ويصيب كل الهويات الأخرى، كالهوية الاجتماعية والوطنية وكذلك السياسية والدينية، كونها تعبر عن الانتماء الثقافي للشعوب الذي يتجسد في الدين، واللغة، والتاريخ، والذي يعبر عن أصالتها وجوهرها، وتظهر من خلال القيم الاجتماعية والمحافظة على العادات والتقاليد التي ورثها الأبناء من الآباء والأجداد، وفي الوقت نفسه مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي دون المساس بمقومات الهوية الثقافية الأساسية، فالتراث الثقافي لأي مجتمع ركيزة أساسية من ركائز هويته الثقافية ومصدر ذاتها الحضارية، فهو المحتوى الذي يستمد منه انتماءه وتقاليده وأصالته ولغته وقيمه وأفكاره، كما أنه أسلوب

الحياة الذي يعبر عن ثقافة المجتمع وهويته الثقافية، إضـــافة إلى كونه مصـــدرا حيويا للإبداع المعاصـــر ينهل منه الأدباء والكتاب والشـــعراء، لتأخذ الإبداعات الجديدة موقعها في خارطة التراث الثقافي وتتحول إلى تراث يربط حاضـر الأمة وماضـيها ويعزز حضـورها في السـاحة الثقافية العالمية، فالهوية الثقافية امتدادا للتراث الثقافي، لذا تســـعى المجتمعات إلى الحفاظ والاســـتثمار في التراث الثقافي معرفيا واجتماعيا وثقافيا واقتصـــادياً، من أجل خدمة المجتمع وضمان استمراريته لأنه ضروري لتعزيز الهوية الثقافية والانتماء للمجتمع والولاء له.

مشكلة الدراسة:

يكاد لا يخلو أي مجتمع من تراث ثقافي حضـــاري ناتج عن تفاعل الإنســـان مع الإنســان أو تفاعل الإنســان مع بيئته المحيطة، هذا الناتج يأخذ صـورا متنوعة ومختلفة فكرية كانت كالمعتقدات واللغات بلهجاتها، والعادات والتقاليد والفلســـفة الخاصـــة بأســـاليب العيش والتفاعل المجتمعي، أو مادية كمنتجات ومخرجات يد الإنســـان من آلات وأدوات وأبنية وكافة مستلزمات العيش والتفاعل الحيوي ضمن بيئات مختلفة، فالتراث الثقافي يتميز بخاصية التنوع في كافة المجالات وهذه حصـيلة نتاج ثقافي وحضـاري واجتماعي مكون له عبر التاريخ، لذا فإن تعرف الأجيال الحالية على هذا التراث الثقافي بهدف اسـتلهام التجربة وتعميق روح الولاء والانتماء والاعتزاز بالوطن والهوية هو أمر غاية في الأهمية، كما أن توظيف المناســـب لعناصـر التراث الثقافي وتقديمه بشكل يتناسـب مع معطيات الواقع الجديد هو مسلك حضـاري متميز يجســـد المعنى ويحافظ على المبدأ ويعزز الوجود، وذلك بغية حماية الجيل الجديد من مشـكلات الاسـتلاب والانسـلاخ عن ثقافة المجتمع، فضـلا عن صـياغة فكره ووعيه وثقافته ووجوده، ليكون جيلاً واعياً ومدركاً لمتطلبات المجتمع الكوني الجديد، وأكثر فهماً لطبيعة ومتطلبات المحافظة على الهوية الثقافية، فالاهتمام بالتراث الثقافي يسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات واحترام الإنســـان لهويته الثقافية ولانتمائه، لأن عناصـــره تمتد بجذورها عبر الحقب التاريخية منذ قديم الزمان، وهذا ما يفسر لنا اختلاف ثقافة الشعوب باختلاف العادات والتقاليد المتوارثة، فالإنســـان كما ذكر ابن خلدون ابن عوائده، لذلك فهو ســـجين ثقافة مجتمعه بإرادته واختياره، فهي تعبر إذاً عن هويته الثقافية وذاته، وهو ما أكدته نتائج الدراســة التي قام بها كل من رشـا مقابلة، وشـذى صـخر (2019)، أن التراث الثقافي جزء صـميم من الكيان الحضـاري

للمجتمع، وهو يمثل جذوره الضاربة في التاريخ وماضيه الذي يستمد منه قيمه، وبفضله يتمكن من الحفاظ على هويته الثقافية والقدرة على مواجهة إكراهات الواقع وضــغوط الظروف العالمية وبخاصة في عصر العولمة التي تسعى إلى محو الخصوصيات الحضارية وتغييب التنوعات الثقافية وفرض النموذج الغربي على البشـــرية. كذلك أكدت بن شـــريط فاطنة (2022)، من خلال الدراســـة التي قامت بها على ضــــرورة المحافظة على التراث الثقافي، لأنه يحمي ثقافة الشعوب من الضياع، فهو ثقيل بما يحتويه من المعارف والمهارات التي توارثتها الأجيال، فهو يربط بين الماضــي والحاضــر والمســتقبل فيكون المجتمع أكثر قوة وصــلابة، فعلى الأفراد ألا يهملوه لأنه يمثل رمزاً لهويتهم الثقافية ومنبعاً للعادات والتقاليد وركيزة أســاســية للمجتمع وذاكرة حية.

في ضوء ما تقدم؛ يمكن طرح مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

ما دور التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية في المجتمع الليبي؟

وللإجابة عن هذا التســاؤل تم تناول الدراســة في ثلاث محاور أســاســية التي تقسـم بدورها إلى عناوين فرعية تتضمن في ثناياها الإجابة عن التساؤل الذي تم طرحه سابقاً. تناول المحور الأول: التراث الثقافي، وتناول الثاني: الهوية الثقافية، في حين تناول الثالث: التراث الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية.

أهمية الدراسة: تكمن أهميتها في النقاط الآتية:

1-ما يشـهده المجتمع الليبي من تراجع وانحسـار مسـتوى معرفة الأفراد بتراثهم الثقافي، مما قد يؤدي إلى تهديد الهوية الثقافية في مقابل انتشار الهوية الثقافية الكونية.

2-أهمية التراث الثقافي وضـــرورة التعريف به للأجيال القادمة، لربط هذا الجيل بجذوره الثقافية الأصيلة في مواجهة الثقافات الوافدة إليه عبر قنوات الاتصال المتعددة.

3-تعرض التراث الثقافي وما يحمله من قيم ثقافية وتاريخية واجتماعية إلى مخاطر الإهمال والفقدان والهجر من قبل الأجيال الجديدة.

4-أهمية تأصيل الهوية الثقافية والربط بينها وبين التراث الثقافي لدى الأفراد، الذي يسهم في ايجاد هوية محددة ويخدم التراث ضمن بنية اجتماعية قوية.

5-ما تقدمه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات، قد تفتح المجال أمام المهتمين بقضايا التراث الثقافي والهوية الثقافية في المجتمع الليبي.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف وتتمثل في الآتي:

- تناول قضية التراث الثقافي وآليات الحفاظ عليه.
- إلقاء الضوء على مفهوم الهوية الثقافية وأهم مقوماتها.
- الكشف عن دور التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية.

تساؤلات الدراسة: وتتمثل في التساؤلات الآتية:

1-ما أهية التراث الثقافي؟ وما أهم آليات الحفاظ عليه؟

2-ما تعريف الهوية الثقافية؟ وما أهم مقوماتها؟

3-ماالدور الذي يلعبه التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية في المجتمع الليبي؟

منهج الدراسة: في ضوء طبيعة الدراسة وأهدافها، تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعد على تحديد كيفية أساهم التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية، وذلك من خلال الاستعانة بالأدبيات السابقة والمصادر النظرية والمكتبية التي تدعم البحث وتسانده وتسهم في التوصل إلى نتائج يمكن الاستفادة منها.

مفاهيم الدراسة:

الدور: يعرف الدور بأنه "مجموعة الأنشطة أو الأطر السلوكية التي تحقق ما هو متوقع في مواقف معينة ويترتب على هذه الأدوار إمكانية التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة"(مرسي،2001: 95).

التراث: يعرف الجابري التراث" بمعنى الموروث الثقافي والفكري الديني والأدبي والفني، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر ملفوفا في بطانة وجدانية

أيديولوجية، لم يكن حاضرا لا في خطاب أسلافنا، ولا في حقل تفكيرهم، كما أنه غير حاضر في أية لغة من اللغات الحية المعاصرة التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا"(العجارمة،2018: 364).

وعرف التراث كذلك بأنه: "مجموعة من الأشكال الكلامية، أو السلوكية، انحدرت إلينا من الأجيال السالفة، ولذلك فإن كلمة تراث تعني كل ما هو موروث في مجتمع معين عن الأجيال الغابرة: العادات، والأخلاق، والآداب، والتعابير، والتنظيمات، وهذا المعنى هو بالضبط ما تؤديه كلمة تراث"(نفس المرجع السابق: 356).

التراث الثقافي: بانه التنوع الثقافي الذي يختزن كما هائلا من المعارف، والممارسات والعادات المختلفة، الحاملة لهويات الشعوب التي تراكمت عبر التاريخ وتعاقبت عليها الأجيال، مع المحافظة على المضامين الثقافية التي تحملها وعلى أوجه الإبداع التي عبر عنها الأفراد والمجتمعات منذ القدم، فهي نتاج حضاري لتفاعل البشر مع البيئة المحيطة بهم (سالي، 2023: 28).

الثقافة: عرفها إدوارد تايلور بأنها" ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والقانون والأخلاق والعرف وكل العادات والتقاليد التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع" أما "مالينوفسكي فيرى أن الثقافة تشمل الحرف الموروثة والعمليات الفنية والأفكار والعادات والقيم".

أما الثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوجيا هي:" مجمل التراث الاجتماعي، أو هي أسلوب حياة المجتمع وعلى ذلك فلكل شعب في الأرض ثقافة، أي بمعنى أن له أنماطاً معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته، والتفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وعن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها"(نور الهدى، اسماعيل،2019: 14).

الهوية: يعد مفهوم الهوية مفهوما معقدا شأنه في ذلك شأن المفاهيم المركبة، التي اختلف في وضع تعريف محدد لها.

وعرفت الهوية بأنها: "عبارة عن كيان تراكمي، ولا يعطى جاهزا فإنه يتغير ويتطور، إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشـــــار، فهي تكون عينة تجارب أهلها ومعاناتهم وثقافته، واحتكاكهم بالهويات الثقافية الأخرى، سلبا أو ايجابا" (الكراتي،2018: 145).

كما عرفت الهوية بأنها: "منظومة متكاملة من المعطيات الفلسفية والمادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من العمليات والتكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصـية الإحسـاس بالهوية والشـعور بها، وتشـمل وحدة المشـــاعر الداخلية التي تتمثل في الشـــعور بالاســـتمرارية والتمايز والديمومة والجهد، فهي ما يكون الفرد عن فكره وسـلوكه اللذين يصـدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي والاجتماعي، فتعرف الإنسان بنفسه فكراً وثقافة وأسلوب حياة"

ويمكن تعريف الهوية من منظور شـــامل بأنها: "مجموعة الخصـــائص والمميزات اللغوية والمفاهيمية والأخلاقية والثقافية والتاريخية والجغرافية والسياسية، والعادات والتقاليد والسلوكيات التي بطابع شخصية الفرد والجماعة والأمة بطبع معين ينفرد به عن باقي الأمم، حيث تشكل مرجعته المعبرة عن ثقافته ودينه وحضارته (الرقب،2006: 52).

الهوية الثقافية هي: المنتج الثقافي والفني المتشكل من عادات وتقاليد، وهي الخصوصية التي تميز جماعة بشـرية عن غيرها كالعيش المشـترك والعقيدة واللغة والتاريخ والمصـير المشـترك، والتي تعبر عن الانتماء الثقافي للشـعوب، وتعد من المحددات الأسـاسـية لثقافة الأمة، فهي تمثل رمز وحدتها واسـتمراريتها، بحيث تتفاعل عناصـر هذه الهوية. (بن علية، رداف، 2018: 407).

تعقيب على هذه التعريفات: يتضـــح لنا أن هناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة بحيث يتعذر الفصـل بينهما، الهوية مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا بها، والثقافة ذات مضمون تاريخي لها صفة الاختيار والانتقاء وتمثل المخزون الحي في ذاكرة الشـــعوب على أنها مركب كلي نامٍ ومتراكم، فالهوية تختزل الثقافة وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كذلك الحال بالنســـبة للهويات المتنوعة قد تنتظم تحت ثقافة واحدة، وهو ما يعبر عنه بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية أي مجتمع من المجتمعات إلى ثقافات

متعددة حيث تمتزج عناصرها وتتداخل مكوناتها فتتشكل في هوية واحدة، وهما يرتبطان في الوقت نفسه بالتراث الثقافي للمجتمع، الذي هو بمثابة الوعاء الذي يجمع في محتواه الحصيلة الإنسانية لكافة جوانب تطور المجتمعات ونموها، فالتراث يساعد على فهم المجتمع ومعرفة عاداته وتقاليده، وفهم العلاقات ومكوناتها الأساسية وانعكاسها على المواقف، وربط القيم وأنماط السلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد بمواقف محددة ومجالات معينة، ومن هذا المنطلق يمكننا التأكيد على وجود علاقة متلازمة بين التراث الثقافي وبين دوره في الحفاظ على الهوية الثقافية.

إن التنوع الثقافي يكفل الاحترام والتكيف، والسعي لتشكيل هوية جامعة، كما يجسد التراث أحد ركائز الهوية، فالهوية تجمع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية الوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الطويل المدى، فالهوية وجودها سابق لوجود الفرد، كما أن الهوية الليبية موجودة في التنوع الثقافي الذي حظيت به هذه الأرض (الحاسي 2021: 3).

الإطار النظري للدراسة:

أولاً: التراث الثقافي:

أن التراث الثقافي كما عرفته: اتفاقية اليونسكو عام 2003 بأنه" مجموعة من الممارسات والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع، ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي ينتقل من جيل إلى جيل من قبل الجماعات، والمجموعات طبقا لبيئتهم، وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم"(الظبياني، 2021: 1070).

يشكل التراث أحد أهم العناصر الأساسية للهوية الثقافية وقد بدأ يحتل مكانة الصدارة في الخطاب الفكري المعاصر، منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، نظرا لأهمية التراث الثقافية في الحفاظ على الهوية الثقافية وفي بناء الثقافة الحديثة والمعاصرة معرفيا، وفكريا، وتصوريا، فالتراث الثقافي ليس معالم وصروحا وآثاراً فحسب، بل هو أيضا كل

ما يؤثر عن أمة من تعبير غير مادي من معارف تقليدية وفولوكلور وحكايات تتوارثها الأمة عبر أجيال وعصـــور، وكذلك تلك الصـــروح المعمارية المتعددة، وتلك البقايا المادية ووثائق وكتابات جدارية وغيرها؛ إذ كلها تعبر عن روحها ونبض حياتها وثقافتها، فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، ويمثل هوية يتعرف بها الناس على شـعب من الشـعوب؛ كما أن التراث بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصـــدرا تربويا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيا، ذلك أن تراكم الخبرات يكون الحضارة، وتراكم المعلومات يكون الذاكرة وهذه الذاكرة هي التي تمكننا من فهم العالم.

فالتراث كما يرى علي وطفة هو عبارة عن مجموعة من الحلول التي توصـــلت إليها الأجيال السابقة لبعض مشاكلها، فهو يجسد ثقافة المجتمع الحيوية الماثلة في العمق الإنساني، فالعناصـــر التراثية في الثقافة تشـــكل مركز الثقل في أية ثقافة اجتماعية أو هوية ثقافية، وما الهوية ســـوى تعبير ثقافي يجســـد أعمق مكنونات الحياة الثقافية والاجتماعية، إنها حالة من التشبعات الثقافية التراثية في جوهرها التي يعرف بها مجتمع من المجتمعات ويتميز عن غيره، فالعادات والتقاليد والفولكلور والأزياء والعقليات هي تعبير هوية المجتمع الثقافية، وما نريد قوله هنا أن التراث يشـــكل أعمق مكونات الهوية الثقافية وأكثر عناصـــرها دلالة وأهمية، ومن هنا يجب الاهتمام بدراسة التراث وحمايته وتأصيله وتعميق دلالاته في اتجاه بناء الهويات الوطنية والثقافية (وطفة،2021، 63).

1-أهمية التراث الثقافي:

تتضـــح أهمية التراث الثقافي من خلال تفســـير علاقته بالمجتمع والجماعات الاجتماعية، من حيث البناء الثقافي في علاقته بالمجتمع تحديداً الأدوار والوظائف التي يمكن أن يؤديها في التوازن والاستقرار الاجتماعي وتشكيل منظومة قيمية ومعيارية وظيفتها ترشيد السلوكيات، لذلك فإن التراث الثقافي يعد أحد المقومات الأساسية في تحديد هويات الأفراد في المجتمع ويلعب دورا مهما في صناعة أساليب الروابط الاجتماعية داحل المجتمع وإنتاج هوية ثقافية. علاوة على ذلك الأبعاد الاجتماعية للتراث الثقافي من خلال دوره في التضـــامن الاجتماعي أو ما يعرف بالروابط الاجتماعية، فمفهوم التضـــامن الاجتماعي يشـــير إلى وجود

علاقات اجتماعية داخل المجتمع تتسم بأنها سوية ومتكاملة، كما يشير إلى وجود الروابط الاجتماعية بفعل الاشتراك في القيم والنظرة إلى الحياة، وتوحد المعنى والهدف من تواجد تلك الجماعة (بوعدة،2013: 65).

وهذا ما يفسر لنا ما يعانيه المجتمع الليبي في الآونة الأخيرة من المشكلات والانحرافات السلوكية، بخاصة بعد الأزمات والحروب التي مر بها، والثورة المعلوماتية بكافة أشكالها والانفتاح على الثقافات الأخرى، وما تسببت به هذه الظروف من تشويه للهوية الثقافية وإهمال للتراث الثقافي الذي كان له دور كبير في إحداث التوازن وايجاد منظومة قيمية يمكن الاستناد عليها في تنظيم سلوكيات الأفراد وترشيدها، حتى في حالة عدم تفعيل القانون الوضعي أو الرسمي للمجتمع، فالتراث الثقافي يمثل سجلاً للماضي مما يسمح للناس بالتعلم من التاريخ ونقل القصص والعادات والتقاليد من جيل إلى جيل، وبذلك يساعد على التماسك الاجتماعي، حيث تساعد التقاليد والقيم المشتركة على توحيد الناس داخل المجتمع.

2-خصائص التراث الثقافي: تتمثل خصائص التراث الثقافي في الاتي: -

-الحركية وعدم الانقطاع: فأهم صفاته وخصائصه هي أنه حاضر فينا من الماضي، بمعنى أنه ليكون تراثا بمسماه ينبغي أن يتواصل عبر الزمن، فإذا انقطع وانتهى عند حدود الحاضر فإنه لا يمكن أن يشكل تراثا لنا، إنما يصبح جزءا من ماضينا وذاكرة حضارتنا.

-صدق التراث في التعبير عن البيئة التي نشأ فيها: ففكرة التراث تتضمن احتواء جيناته على قيم البيئة والحضارة التي افرزته، وهناك من التراث ما يمكن أن تشترك به أكثر من أمة، فهناك تراث عالمي وآخر إقليمي خاص بكل ثقافة.

-ضرورة انتماء التراث بمضمونه للحضارة والثقافة انتماء جوهر لا انتماء زمن: ومن هنا فكم من موروث معاصر لأمة ما لا يمكن إن يصلح ليكون تراثا لها.

-التواتر الزمني للتراث: والتواتر يعني تناقل التراث من جيل إلى لآخر، وهذا يتضمن التصديق للتراث عبر الأجيال، فالتواتر يعني الإضافة التراكمية الطبيعية التي تضفي عملية الانتخاب والإسقاط الطبيعية لتراث ما، حيث تؤكد صفة ما وتسقط أخرى بحسب الحاجة والمناسبة

وبشــكل طبيعي، ويظهر ذلك جليا عند التمييز بين تراث الأمة وبين منتجات العولمة، فالتراث محلي ونواتج العولمة دخيلة.

–التراث قديم وجذوره ضـــاربة في حضـــارة المجتمع وثقافة: فالتراث قد يكون قديما وقد يكون معاصـرا نسـبيا، لذا فهي صـفة ليسـت شـرطية ولكن قد يغلب القدم على الكثير من أصـناف التراث المتعددة وتنبع من صفة التواتر السابقة.

–البسـاطة: فالتراث وقيم التراث وبنيته التكوينية تستمد من قيم حضـارية عالية المعنى والمبنى، فالتراث يعكس الخصـوصـية والعفة والتسـامح والكرم والجمال وهي كلها قيم أصـيلة والأهم من ذلك أن جيناتها جميعا تحوي البساطة وعدم التعقيد أو التكلف، ولذلك فالتراث المستمد من هذه القيم الأصلية لابد بالضرورة أن يكون بسيطا.

–التراث يحمل في جيناته العادات والتقاليد الاجتماعية والقيم الســـائدة للمجتمع: فهو أداة فعالة للتعبير الصادق عما ساد ويسود مجتمع ما، وبنيته التكوينية تشكلت أساسا وتتشكل مرحليا من مجموعات وحزم من التفاعلات الاجتماعية والاقتصـادية والقرارات السياسـية المحلية التراكمية، عدا الأعراف والتقاليد والخبرات التي تســـهم في صـــوغها فئات المجتمع بمجموعها وبأغلبيتها (السيد،2023: 3–4).

ويمكننا أن نخلص مما سـبق؛ الي أن التغير المسـتمر واحد من أهم خصـائص التراث الثقافي، لذا لأبد من حفظه وحمايته وصـــيانته ونقله للأجيال القادمة، فالحماية غير الحكيمة أو التدخل غير الواعي لصون هذا التراث، قد تحوله إلى تراث جامد غير دينامي، مما ينتج عنه فقدان أنواع جديدة من التراث مع مرور الزمن فتضـعف إمكانية اتصـاله بالجماعات والأفراد.

وعلينا ألا ننظر إلى التراث بنوع من التباهي والتفاخر أو نســـتخدمه ســـلاحاً ايديولوجياً في صـراعات الحاضـر، وإنما الاسـتفادة منه في العمل نحو تجهيز الوعي الجمعي بذاكرة ثقافية، تشـعر الجيل الجديد من أبناء المجتمع الليبي أن له تراثاً حياً وأنه جزء من وعيه ليعيد إبداعه ويعمل على حمايته وابرازه ويكون قادراً على الحوار والتفاهم مع الثقافات الأخرى

ويسـهم هذا التراث في الحفاظ على الهوية والتحفيز على الشـعور بالانتماء ويزيد الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

3-مكونات التراث الثقافي: يشمل التراث الثقافي عدة أنواع وتصنيفات أهمها:

-التراث الشفوي: الذي يضم الحكايات والروايات، الأمثال والألغاز، الشعر العامي أو الملحون، والموسيقى، كذلك الرقص الشعبي بكل أنواعه.

-التراث المكتوب: ويشـكل الوثائق والمخطوطات والنصـوص التاريخية والمكتبات القديمة، وأيضا الرسوم على الكهوف.

-التراث المبني: والمتمثل في المدن العتيقة والأحياء العتيقة التاريخية والمسـاجد والزوايا والنقوش والزخارف.

-التراث المنقول: كالنقود والحلي والأواني الخزفية والأسـلحة القديمة، وغيرها من الأدوات المنزلية والفلاحية والحرفية وقد نجدها في المتاحف.

-المواقع الاركيولوجية: مواقع أثرية قديمة منها (آثار لبدة، صـبراتة، شـحات، مدينة بن تليس وقصر الحاكم في مدينة بني وليد) (خلف،2023، 34).

وهناك من قسم التراث إلى أربعة أقسام من اهمها:

أولاً: المعتقدات والمعارف الشعبية:

ومن أهمها ما يتعلق أو يشاع عن الأولياء، والطب الشعبي والسلوك الفردي والجمعي في مناسبات الأفراح والأتراح وغيرها من المناسبات.

ثانيا: العادات والتقاليد الشـعبية: وهي ظاهرة تاريخية تعبر عن بعد زمني معين، كما تمتاز بالمعاصـرة بحكم الاسـتمرارية التي تعرفها وهي: تتداول بين الأجيال، ولهذه العادات والتقاليد بعض السمات الرئيسية التي تتميز بها:

-فعل اجتماعي مرتبط بالجماعة.

-موروث ذو قوة يتطلب الطاعة الصارمة والامتثال الاجتماعي.

-مرتبطة بالزمن والمواقيت مثل رأس السنة الهجرية، عاشوراء.

ثالثا: الأدب الشـــعبي: ومن المســميات التي يتخذها، الأدب الشــفاهي، الأدب التعبيري، الفن اللفظي، وله عدة أنواع كالأمثال، الحكاية الشعبية، الأسطورة والخرافة.

رابعا: الثقافة المادية والفنون الشعبية:

-الثقافة المادية: وهي شــاهد ثقافي تتناقله الأجيال لتبليغ صــداه بغية الحفاظ على اســتمرارية الأصـل التاريخي وهوية المجتمع أيا كان هذا المجتمع، مثل صـناعة الملابس، وأسـاليب إعداد الأطعمة وأنواعها.

-الفنون الشـعبية: وتشـتمل على فن الألعاب الشـعبية كالفروسية، العاب السيف، المبارزة وفنون تشكيلية شعبية كالأشغال اليدوية، على شاكلة النسيج، النقش على الخشب (بلوفة،2013: 43-44).

4. الحفاظ على التراث الثقافي:

يشهد عالمنا اليوم تطورات تكنولوجية ورقمية، أصبحت تشكل خطراً على الموروثات والمعارف التقليدية في مقدمتها التراث الثقافي المهدد بالتدمير المتزايد، لأســـباب لعلها تغير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وقلة الوعي لدى المواطنين بأهمية التراث وتأثيره على مستقبل الأجيال الحالية والقادمة، ويحتوي المجتمع الليبي على تراث ثقافي متنوع وذلك لاتســـاع رقعته وتعدد الثقافات فيه، ويسـعى الباحثون والدارسـون في مجال الأدب الشـعبي والمهتمون بدراسـة التراث إلى دراسته ، وذلك لخدمة الثقافة الشعبية فيه بمحاولة تسجيلها وتقييدها، لكي لا تندثر مع الزمن، إن مراقبة هذا الإرث الثقافي المتنوع والمحافظة عليه يعد من أهم الأهداف التي يجب أن يسـعى إليه المجتمع، وذلك لإبراز القيمة التاريخية والحضـارية والتنوع الذي يتميز به التراث الثقافي في المجتمع الليبي. (شهرزاد،2020: 871).

ونتيجة لذلك فإننا نحتاج إلى رقمنه التراث، وأن يكون متاحاً على شـــبكة الإنترنت، أي تحويله إلى صـــيغة رقمية أو إلكترونية، مما يســـهل الوصـــول إليه، وتخزين أنواع مختلفة لمصـــادر التراث، واســـترجاع ســـريع ودقيق للمعلومات، بالإضـــافة إلى إمكانات حفظ التراث

وتعزيز الوعي به لدى الأجيال الناشـــئة، من خلال " الصــــحافة الإلكترونية" النخبوية منها والشعبية، التي تتصف بسرعة المتابعة وسرعة حدوث المعلومة.

ورغم وجود قواســم مشــتركة، فإن لكل دولة عربية ما يميزها على مســتوى تراثها المحلي، وثقافتها الشــعبية، ولها صــفاتها التي جعلتها مرتبطة أكثر بالحياة اليومية، ويتمايز بعضـها عن بعض بسبب عوامل جغرافية وهجرات مختلفة، ولهجات وتقاليد خاصـة وهو التنوع في الروافد ويمكن تعزيز إمكانية تفاعله من خلال التطور التكنولوجي للوســـائط الإعلامية، الفضـائية والشـبكية، وتدوينها وإنشـاء مؤسـسـات تعنى بشـؤون الخصـوصـية التراثية في إطار التكامل والوحدة الثقافية (الحسن،2018: 26).

ثانياً: الهوية الثقافية:

إن الهويـة الثقافيـة مكون من مكونـات الإنســـان ومـا يميزه عن غيره من مـأكل ومشرب، وملبس، وصفات جسمية ونفسية وكذلك العادات والتقاليد والدين والوطن، وهناك نوع من الهوية يجمع عدة هويات كالوطن والعرق، كما أن هناك نوعين ظاهرين للهوية نوع مادي عليه بصـمة الهوية المعنوية يشـكل البنايات والعمران والآلات والمنسـوجات، حتى في موروث الأواني واللباس والمخطوطات والمنتوج الســياحي، أما المعنوي منه فيظهر في القيم والأفكار والميول، والدين، والعرق، والموروث الأدبي من تصــرفات وســلوكيات وعادات وتقاليد، فنون، آداب، لغة، تاريخ.

وهناك عدة أنواع من الهوية ملتحمة فيما بينها حتى إنه لا يمكن أن نفرق بينها في بعض الأحيان كصــفات تجمع بين الهوية الاجتماعية والســياســية يصــنعها الحكام بفضــل مفكريها، والهوية الاجتماعية والثقافية قد تصــــنع هويات جديدة وقد تطمس بفعل التغيرات السريعة والاتصال بثقافات أخرى (بن غبريد،2022: 146).

وتتميز المجتمعات على اختلافها بخاصــية أنها مولدة للعادات والتقاليد المتناقلة من جيل إلى لأخر، التي تعبر عن مدى تناســق هذه المجتمعات وتواصــلها من خلال محافظة أفرادها على ما يســمى بهويتهم الثقافية التي يتوارثها الأجيال، لارتباطها بكل ما هو ماضٍ

وأصـيل، وموروث ثقافي وكنز تركه الأجيال يسـتدعي الاهتمام به والمحافظة عليه بأي شـكل من الأشكال (أمال،2014: 14).

فالهوية الثقافية من أعم السـمات المميزة للمجتمع، فهي التي تبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاته في المجالات المختلفة، وتجسد الطموحات المستقبلية في المجتمع، بل تنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنســـان إلى تحقيق غايات معينة، فالهوية الثقافية لمجتمع ما لأبد وأن تســتند أصـــول تســتمد منها قوتها، وإلى معايير قيمية ومبادي أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزا للاستقطاب العالمي والإنساني (الميلودي،2022: 113).

إن الهوية الثقافية للمجتمع لا ترفض الانفتاح والتفاعل البناء مع الثقافات الأخرى، بل أنها تدريجيا كونت نتاجاً وطنياً قومياً منبثقاً من واقع معين، ولكن أيضـا باسـتيعاب لعناصـر ثقافية أخرى وهضـمها في عملية تفاعل طبيعية لم تنف الأصـالة ولا أضـعفتها، وقد أكدت لنا الهوية الثقافية والدعوة إلى صـــيانتها والحفاظ عليها وتعزيزها، فإن هذه ليســت دعوة للعزلة والانكماش فنحن لســنا ضــد كل ما هو جديد، لكن هو تأكيد على ضـــرورة المحافظة على السمات والخصائص التي تميز الهوية الثقافية (باحمد،2020: 125).

إن المجتمع الليبي لـه هويتـه الثقـافيـة التي تميزه عن غيره من المجتمعـات، وإن تشابهت هذه الهوية في بعض الخصائص والسمات العامة مع مجتمعات عربية أخرى، إلا أن هناك هوية ثقافية تميز المجتمع الليبي وتضـفي عليه خصـوصـية وإن كان ينتمي في الوقت نفسه تحت هوية الثقافة العربية، التي تشكلت على مر العصور، لكن هذه الخصوصية الثقافية باتت تتعرض للمؤثرات الوافدة إليها من خلال الانفتاح على الهويات الأخرى في ظل الهوية الكونية الثقافية، وخاصــة لدى الأجيال الجديدة، الأمر الذي يسـتدعي الانتباه ومحاولة تكاثف الجهود من قبل المتخصـصـين، وفي المؤسـسـات التربوية والتعليمية لضـرورة تعزيز الهوية الثقافية وترسيخها، في ظل الانفتاح على الثقافات الأخرى والتحاور معها، والاستفادة من التنوع الثقافي الذي يوجهه ذلك التواصـــل مع الغير، فالهوية ليســت مكوناً جامداً، بل نموذجاً ثقافياً يتميز بالتغير والتطور.

خصائص الهوية الثقافية: تتميز الهوية الثقافية لأي مجتمع بعدة خصائص من أهمها:

-أنها تتســـم بالوحدة: أي أنها لا تتجزأ، فالهوية ذات والذات ينبغي أن تكون واحدة وغير متعددة، فحتى وإن كان لكل هوية خصـــائص وســـمات لكنها جميعا تنبع وتصـــدر عن الذات نفســـها، وإذا كان المجتمع مقســـا إلى طبقات وفئات في حركة مجتمعية دائمة، هذه الحركة تجعل المجتمع كله يتفق على بعض القضـــايا بالإجماع مثل الدفاع عن هوية المجتمع، أي الدفاع عن الوطن من أي عدوان خارجي.

-أنها مكتســبة يصــنعها تاريخ الأمة وثقافتها، وما تمر به من تجارب وخبرات، كما أنها تعبر عن ذات الجماعة، إذ يكاد أن يجمع عليها كل أفرادها، انتماء واعتزازاً، تعلقا وانتسـابا، ويشـكل المسـاس بها مسـاسـا بكيان الماضـي للأمة كلها، وطعنا في الحاضـر، وفصـلا وانقطاعا عن مستقبلهم.

-أنها موجودة في الضـمير الجمعي للمجتمع، وأنها تميل إلى الاسـتقرار والثبات النسـبيين، وفي المقابل فهي قابلة للتطور نتيجة التفاعل مع الهويات الأخرى، فالهوية الثقافية ليســـت مركبا جامدا أو أبديا، لكنها مجموعة السمات الفكرية والفنية والروحية وهي تشهد عمليات تحول عبر الزمان ويثريها الحوار والأخذ والعطاء.

-أنها مرجعية التعامل والتماســـك والتفاهم ومحور الارتكاز التي حولها تتجمع قيم المجتمع وأهدافه، وطموحاته، وخصـائصـه ومقوماته (السيسي، عبد الرحمن، 2009: 62).

مقومات الهوية الثقافية:

الهوية الثقافية "هي نلك المبادئ الأصـيلة السـامية النابعة من الأفراد أو الشـعوب، التي تمثل كيانه الروحي والمادي والانتماء الأصـــلي لمجتمع ما، يميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، وما نصــت عليه منظمة اليونسـكو في تعريفها لمفهوم الهوية الثقافية هو" انتماء أفراد لجماعة لغوية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، والأســـلوب الذي تســتوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها، والاحســاس بالخضــوع له والمشــاركة فيه أو تشكيل قدر مشترك منه" (سكيك، 2022: 1032).

بالرغم من اختلاف الآراء ووجهات النظر حول مقومات الهوية الثقافية، فإن تلك الآراء تشير في مجملها إلى أن أهم تلك المقومات تتمثل فيما يلي:

-**الدين:** الذي يحدد للأمة فلسفتها في الحياة وغاية وجودها، لما له من تأثير مهم وأساسي في تعميق الهوية الثقافية وإبرازها، وله دور أيضــا في توجيه أفراد المجتمع لشـموله جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصــادية والسـياسـية غيرها من جوانب الحياة، كما أنه يحدد الإطار العام الذي يشـــمل معظم الحياة الاجتماعية والثقافية وكذلك المادية، لتكون مصــــدرا لهويتهم الثقافية، كما يعد الدين المرجع الأسـاسـي لمنظومة القيم التي يؤمن بها المجتمع، وهو مكون رئيس من مكونات تشكيل الهوية الثقافية.

-**اللغة العربية:** تعتبر أداة لنقل ثقافة الأمة إلى أبنائها، لذا تحرص المجتمعات على أن يتم التعليم فيها بلغتها القومية، ذلك لأن اللغة هي ذاكرة الأمة التي تختزن فيها تراثها ومفاهيمها وقيمها، وهي أداة التواصــل بين الماضـــي والحاضــر والمسـتقبل، لذا فإن فقدان اللغة وفقدان الثقافة يؤدي إلى فقدان الهوية، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل بين إفراد المجتمع وحسب، بل هي أحد الثوابت الثقافية في الهوية الثقافية العربية.

-**التاريخ الوطني:** يعد التاريخ من أهم مقومات الهوية الثقافية المرتبطة بالحس القومي، وهو بمثابة وعي الأمة وشـــعورها، ومن أهم دعائم الهوية، فالأمة لا تتوحد إلا بتاريخها الموحد، ولذلك فإن طمس تاريخ الأمة أو تشويهه يعد سببا لطمس هوية الأمة وتهميشها.

-**التربية الأخلاقية:** تتمثل في القيم والمعتقدات الراســخة التي يتمســـك بها الفرد أو الجماعة كمعيار يحكم سـلوك الفرد، ويحدد له الإطار الذي يسـير عليه في تعامله تجاه الآخرين، وتعد العادات والتقاليد السـائدة في المجتمع جزءا أصـيلاً في تشـكيل التربية الأخلاقية، ومقوما مهما من مقومات الهوية الثقافية (محمد، 2019: 129 ـ 130).

كذلك العادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم، الحاملة لها والعاكســـة لمستوى الشعب حامل الهوية الاقتصـادي والاجتماعي والثقافي والسياسـي. وذوبانه في شـعوب أخرى، وتؤهله لمقاومة كل محاولات التذويب مهما كان مصدرها (سكيك مرجع سابق:1032).

ثالثاً: التراث ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية:

التراث الإنساني بشتى أصنافه، بما في ذلك من مكتسبات وخبرات اجتماعية وفنون أدبية، لا يقل أهمية على مستوى الهوية التي من شأنها أن تتخذ معياراً للتمييز بين الجماعات الإنسانية، فالتراث من مرتكزات الهوية الثقافية محليا وعالميا، فلا يمكن تأسيس فكر معاصر وثقافة أصيلة دون تراث حي حركي فاعل.

فالهوية تنعكس من خلال اللغة، واللباس، والفن، وهي في تفاعل متواصل والمد الثقافي العالمي، لذا فإنه من الخطر الانسلاخ والقطيعة عن التراث الثقافي كون هذه المرجعية ذات امتداد في حضورها الفاعل، انطلاقا من الماضي باتجاه المستقبل، وهذه الاستمرارية هي التي تمنح التراث بعده المفاهيمي، ووصفه الاصطلاحي تراثاً ينتقل عبر الزمن من جيل إلى آخر، في حين يخرج عن وصف التراث ليصبح شيئا من الماضي بمجرد انقطاع هذا التواصل وهذا الانتقال؛ كونه مصدرا لقوة وأهمية.

ويستمد هذا التواصل أهميته من وجوب حمل هذا التراث لروح الجماعة الإنسانية في ماضيها، وحاضرها؛ لأن هذا الماضي كان في يوم ما حاضرا بالنسبة لجيل متقدم من هذه الجماعة، فالتراث يحمل بشكل ما بصمات وقيم الفضاء الحضاري الذي تشكل عبر سياقاته المختلفة، ويمثل التراث في تراكمه المحلي عادات وتقاليد مما يؤسس له المجتمع استنادا إلى قيمه الإنسانية وكذا مختلف العلاقات والتفاعلات المعقدة على جميع المستويات، في سياق نسق تواصلي يمكّن المتأخر من قراءة مسار التقدم، وتحديد موقفه منه، وهو شأن الثقافة بوصفها عملية تراكمية.

فالتراث الثقافي قد يفقد مكانته إذا ما أصابه الجمود وانقطع عن الفاعلية في الممارسة عند الأجيال الحاضرة، ومن هذا المدخل يؤسس التراث للهوية الثقافية لذا فكلما انقطعت هذه الفاعلية، كلما فقد المعطى التراثي تأثيره وحضوره في الواقع الثقافي، وما يتصل به من مستجدات.

إن الهوية الثقافية متجددة، فلا تقوم على استعادة صور الماضي فحسب، بل هي تتخطى ذلك إلى محاولة دمج الماضي بالواقع، وبالتجربة العالمية الحديثة، كما أن الأمر ليس

مجرد اكتشـــاف لثقافة غيّبتها العصــور، بل هي بناء مؤســس قوامه التراث، وخبرات الواقعين الراهن، والمأمول (بردي،2018: 29-30).

التراث بكل ما يحتويه ليس عاماً ولا يمثل تراث مجموعة من الشـــعوب المختلفة من الأمم فهو يمثل شعب وحده، أي خاص به ويكونون متمسكين به لدرجة كبيرة، فإذا تخلت عنه تعتبر أنها تجردت من جزء هام من تاريخها، فهو يبين لنا ميزات كل حضـارة، فكلما زرت بيئة غير بيئتك تتعرف على أنماط جديدة تمثل ذلك المجتمع في زمن محدد، لذا وجب على كل أمة الحفاظ على تراثها والاهتمام به وتدارسـه بالطريقة الخاصـة به والتي تخدمه من ناحية كل المعايير من أجل ألا تقحم كل ما هو خارجي وغير خاص بتراثه، وهنا تجعله ينســـلخ عن أصـــله، باعتبار أن عناصـــر التراث منبثقة من نفســية أهالي هذا المجتمع ومخيلاتهم الفكرية (مجيدة،2022: 281).

إن التراث الثقافي ليس قيمة في حد ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفســـير الواقع والعمل على تطويره؛ فهو ليس متحفا للأفكار والســـياحة الفكرية، بقدر ما هو نظرية للعمل، وموجه للسـلوك، وذخيرة قومية يمكن اكتشـافها واسـتغلالها واسـتثمارها من أجل إعادة بناء الإنســـان وعلاقته بالأرض، وهما حجرا العثرة اللذان تتحطم عليهما كل جهود البلاد النامية في التطوير والتنمية، **ويوجد التراث في مستويين هما:**

المســتوى الأول: تراث موجود في المكتبات والمخازن والمســاجد والدور الخاصــة يُعمل على نشـــره، فهو تراث مكتوب، مخطوط أو مطبوع، أي أن له وجود مادي على مســـتوى أولي، مستوى الأشياء، وتعد الإحصائيات عن الموجود منه في مكتبات العالم، ما نُشر وما لم ينشر بعد، ما بقى منه وما ضـــاع، لكن هذا التراث ليس مخزونا ماديا فحســب وليس كيانا مســتقلا بذاته، وكأنه يحتوي على حقائق نظرية مســبقة توجد بذاتها مهددة بالضــياع إن غابت ، ليس التراث موجودا صـورياً له اسـتقلال عن الواقع، الذي نشـأ فيه وبصـرف النظر عن الواقع الذي يهدف إلى تطويره، بل هو تراث يعبر عن الواقع الأول الذي هو جزء من مكوناته، وهذا يؤكد أســـبقية الواقع على الفكر، فالفكر يتحدد طبقا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، وإن اشـــتد الواقع اشتد الفكر، فالتراث إذا ليس له وجود مستقل عن واقع حي يتغير ويتبدل يعبر عن روح

العصـــر ومرحلة التطور التاريخي، فالتراث هو: مجموعة التفاســير التي يعطيها كل جيل بناءً على متطلباته، خاصـــة أن الأصـــول الأولى التي صـــدر منها التراث تســـمح بهذا التعدد لأن الواقع هو أساسها الذي تكونت عليه.

المستوى الثاني: هو وجود على المستوى الصوري، فإن التراث في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير، فالتراث القديم ليس قضية دراسة للماضي العتيق فحسب، الذي ولى وطواه النسيان، ولا ينقب عنه إلا علماء الآثار، بل هو جزء من الواقع ومكوناته النفســـية، مازال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومُثله موجها لسلوك الجماهير في حياتها اليومية. فالتراث إذا مازال قيمة حية في وجدان العصـــر يمكن أن يؤثر فيهم، ويكون باعثا على الســـلوك، وتجديد التراث ضـــرورة واقعية ورؤية صـــــائبة للواقع، فالتراث جزء من مكونات الواقع وليس دفاعا عن موروث قديم، التراث حي يفعل في الناس ويوجه سلوكهم (حنفي،2019: 17-18).

إن للتراث الثقافي دوراً مهماً في الحفاظ على الهوية الثقافية للأفراد في المجتمع الليبي، لأنه يشمل العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بهذا المجتمع التي تنتقل من جيل إلى جيل، فهو يساعد في الحفاظ على الشعور بالارتباط بالماضي ويوفر اطاراً لفهم وتقدير الجذور الثقافية للفرد، مما يساعد في تشكيل احساسهم بالذات والمجتمع، ويشمل هذا التراث العناصر غير المادية كاللغة، والأدب، والموسيقى، والفن، والعناصـر المادية كاللباس والأزياء الشـعبية والمباني والمصـنوعات اليدوية؛ لذا فهو يعد عنصـراً حاسـما في الهوية الثقافية، كما أنه يعكس معارف وتجارب الأجيال السـابقة ويعمل على أنه وسـيلة للاتصـال ونقل القيم الثقافية للأجيال القادمة، مما يضـمن اسـتمرار الثقافة في التطور مع الحفاظ على الهوية الثقافية، اضـافة إلى الحفاظ على اتصـــال المجتمع بماضـــيه وتعزيز الشـــعور بالانتماء، والاســـهام في التنمية الاقتصادية كتنشيط السياحة في المناطق الأثرية.

رابعاً: الاستنتاجات:

من خلال العرض الســـابق للإطار النظري الذي أجاب عن التســـاؤل المطروح حول دور التراث الثقافي في الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال ثلاثة محاور، يمكننا أن نخرج بجملة من الاستنتاجات، أهمها:

- المجتمع الليبي يمتلك تراث ثقافياً متنوعاً بشــقيه (المادي وغير المادي) يتمثل المادي في كثير من الجوانب كالملابس، والمباني الأثرية التي هي بحاجة إلى التعريف بها، للأجيال الحالية من خلال زيارة هذه الأماكن وعن طريق وســـائل الإعلام المختلفة، وكذلك للآخر من خلال تنشــيط قطاع الســياحة للتعريف بهذا التراث الثقافي العريق، أما الجانب غير المادي فهو كالفن والشــعر الشــعبي والأغاني التي يكاد كثير منها يختفي وينقرض بسبب الإهمال وعدم التدوين والحفظ.
- إن اتســاع الرقعة الجغرافية للمجتمع الليبي خلقت تنوعا في التراث الثقافي بين مختلف المناطق الليبية، ولكن هذا التنوع لم يتم الاســـتفادة منه وتوظيفه لتعزيز الشــــعور بالانتماء والوحدة الوطنية، والمساعدة على تجاوز الخلافات والانقسامات، ونشر روح التسامح والتعايش السلمي بين مختلف المكونات الثقافية في ليبيا.
- التراث الثقـافي ليس مجرد تراكم معرفي وإرث ثقـافي تكون بمرور الزمن وتعـاقـب الأجيال، لكنه خلاصــة تجارب وخبرات، ويصــف واقع مرحلة معينة، تم توظيفه ســابقا في تربية النشء وصـــقل شـــخصـــياتهم من خلال الحكايات التي كانت تروى بهدف التعليم والالغاز التي كانت تنشط الذاكرة وتعلم الأبناء على كيفية حل المشكلات، وهو ما أخرج جيلاً واعياً بتراثه ومعتز بهويته، وهذا ما نفتقده اليوم في ظل وسائل التواصل الحديثة وفي أطار الهوية الكونية الثقافية التي باتت تهدد الهوية الثقافية للأفراد وتخفي أهم ملامحها والخصوصية التي تتميز بها.
- لابد من تشـجيع الدراسـات في الحقل الانثروبولوجي على تناول قضـايا التراث الثقافي الليبي، وفهم محتواه ومدلولاته الثقافية، لفهم ثقافة المجتمع وأهم ملامح الهوية الثقافية فيه، فالتراث أسلوب حياة يعبر عن الثقافة والهوية ويفسر كيفية تكون العادات والتقاليد وأسباب التنوع والتعدد الثقافي داخل المجتمع الليبي.

- إن المرحلة الحالية التي يعيشـــها هذا الجيل تشـــهد ســـرعة تغير في الثقافات وهو ما يســتدعي ضــرورة العمل على تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على هذه الخصــوصــية، لتكوين قاعدة معرفية لهذا الجيل وهوية ثقافية واضــحة المعالم تمكنه من التواصــل مع الآخر والتحاور مع تلك الثقافات دون المساس بمقومات الهوية الثقافية الأساسية.
- تعزيز الهوية الثقافية للأجيال الحالية لا يعد من الأمور الكمالية، بل بات ضـــــرورة ملحة في وقتنا الراهن، ويلعب التراث الثقافي دوراً مهماً في تعزيز الهوية الثقافية في المجتمع الليبي، لأنه يســـاعد على نقل القيم والمعتقدات والتقاليد من الأجيال الســـابقة إلى الأجيال الحالية، فالتراث الثقافي هو حصـــيلة نتاج ثقافي وحضـــاري واجتماعي تكون عبر الزمن، والحفاظ عليه يســـهم في تعزيز الهوية الثقافية واحترام الإنســـان لانتمائه لوطنه.
- الحفاظ على التراث الثقافي من الضـــياع بســـبب العوامل المحيطة، كالعوامل المنُاخية وتأثير الطبيعة من ناحية، أو من تأثير العنصـر البشـري كالسـرقة والتخريب، هو أمر غاية في الأهمية، لأنه يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنســـان في المجتمع هوية فردية ومجتمعية، وهو إغناء للثقافة في المجتمع الليبي والحفاظ على التنوع الثقافي فيه.
- الدعوة إلى ضـرورة إحياء التراث الثقافي تفرضـها ضـرورة مد جسـور التواصـل مع ذلك التراث في محاولة لفهم الحاضـــر برؤية عميقة وشـــاملة تربط خبرات وتجارب الأجيال خلال مراحل زمنية متعددة ومتنوعة.
- ضـــرورة الاســـتفادة من التطور المعرفي والتكنولوجيا في تدوين التراث وحفظه وجعله متاحا على شـبكة الانترنت ومواقع التواصـل المختلفة، لإمكانية التعرف عليه وتوظيف المناســـب منه في تطوير الثقافة المجتمعية وتقديمها بشـــكل يتناســـب مع تطور ثقافة العصر ولغته.

- الهوية كل لا يتجزأ، فكل الهويات تكمل بعضـــها البعض، الهوية الوطنية، والثقافية، والدينية، لأنها تشكل في النهاية الهوية الليبية التي تعطي للمواطن الليبي خصـوصـية وتفرد، وبالتالي لأبد من تعزيز الهوية الليبية بكل أنواعها للأجيال القادمة.
- في حياتنا اليومية نلاحظ اختفاء العديد من القيم الاجتماعية التي كانت معروفة من قبل، والتي ارتبطت بالتراث والعادات والتقاليد، كاحترام الجار والعطف على الكبير ومســاعدة المحتاج، إلا أن هذه القيم بدأت تختفي وتحل محلها قيم دخيلة، في غياب تفعيل الجانب الأخلاقي والإنســاني للتراث، وما كان يقال عنه عيب ولا يجوز ســابقا، أصـــبح متاحا ومقبول في الوقت الحالي، الأمر الذي يجعلنا بحاجة إلى احياء التراث في هذا الجانب وتوظيف ما يتماشى مع هذه المرحلة وعصر الانفتاح.
- إن الحديث عن قضـــايا التراث الثقافي وأهميته ودوره في تعزيز الهوية الثقافية وضـرورتها للأجيال القادمة، موضـوع طويل بحاجة إلى البحث والتقصـي، لأن التراث الليبي تراث غني ويضـــم الكثير من المكونات المادية وغير المادية التي تســـتحق الدراســة والاهتمام من قبل المتخصــصــين والمهتمين في مختلف العلوم، وفي مجال الدراسات الانثروبولوجيا بشكل خاص.

تعقيب:

وفي ضـــوء ما ســبق نرى ؛ أن التراث الثقافي يزخر بكم هائل من المكونات المادية والثقافية، التي تعكس أصـــالة المجتمع وارتباطه الحضـــاري، له دوره في الحفاظ على الهوية الثقافية المتجذرة التي انتقلت عبر الأجيال المتعاقبة جيل بعد جيل، فالتراث والهوية من تجليات الثقافة المحلية والإقليمية، ومن الصـعب رسـم حدود ثابتة ودقيقة لهما، فالهوية يمكن الكشـف عنها بلكنة لســان محلية أو موروث شـــعبي من خلال أي نتاج ثقافي محلي، فلا هوية دون تراث تســتند إليه ولا تراث إذا لم يؤســس للهوية، فهما وجهان لعملة واحدة وهي الشــخصــية الفردية والجماعية.

وهذا يحتم علينا ضـــرورة الحفاظ على التراث الثقافي وصـــيانته والتصـــدي لرياح العولمة التي تهدد التراث الثقافي والهوية الثقافية لأفراد المجتمع، فالتراث يعبر عن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده فهو اسـترداد للماضــي بكل تفاصـيله، ولكل مجتمع تراثه وثقافته الخاصــة به ويمثل هوية أفراد المجتمع كله، كما أنه يســـهم في كشــف العمق الحضـــاري لهذا المجتمع، فالتقدم الحضاري لأي أمة وتطورها يعتمد بشكل كبير على الحفاظ على التراث الثقافي وإحيائه للاستفادة منه في بناء الحاضر.

هذا التراث الثقافي الأصـــيل بكل أبعاده يســـاعد في تعزيز الهوية الثقافية لأفراد المجتمع، كما يســـهم في تحديد الأدوار الاجتماعية، لكونه رصـــيداً مهما لإحداث التوازن المجتمعي والتغيير الآمن، وهو مصـــدر قوة بكل ما يحتويه من أنشـــطة وتجارب ومعارف تراكمت عبر فترة طويلة من الزمن.

تصور مقترح لتعزيز الهوية الثقافية: ويقوم هذا التصور على مجموعة من الخطوات الاتية:

1-تعزيز البناء القيمي والديني للفرد: إن التأكيد على الجانب الديني والعقائدي لبناء شـخصـية سـوية تصـغي إلى أوامر ربها وتطبق أحكامه، ويسـهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للأفراد، من خلال اعتزازهم بهويتهم وبتراثهم الثقافي.

2-الايمان بأهمية التواصـل الحضـاري: إن تقبل الفرد للتعددية الفكرية والثقافية والتعامل معها بشــكل حضـــاري، يســـهم في الحفاظ على هويته الثقافية وتعزيزها، وينمي لديه روح التســـامح ورفض التعصـــب واحترام الآخر، وهذا التواصـــل والتقبل يســـاعد في إثراء المعرفة بهذا الآخر والاستفادة من الثقافات المتعددة.

3-أهمية الجمع بين الأصـالة والمعاصـرة: إن التراث ليس مجرد تراكم معرفي وثقافي منفصـل عن الواقع، لذا لأبد وأن يكون هناك تواصل بين التراث الثقافي للمجتمع وبين الثقافة المعاصرة، وفق عملية انتقائية دقيقة، والاســتفادة من خبرات وتجارب الأجيال الســابقة في بناء المســتقبل وفهم الحاضــر، فالتراث يســهم في توجيه الأفراد ومســاعدتهم في بناء المجتمع وتعزيز هويتهم الثقافية.

4-بثُّ روح العلم والابداع: التسلح بالعلم والمعرفة والتشجيع على نشر روح الإبداع، هو الوسيلة الفاعلة لســـد الفجوة بين مجتمعنا والمجتمعات المتقدمة، فمجال العلم يجب أن يكون المنطلق الأســاس الذي يتكون من خلاله وفي اطاره ســائر الغايات التربوية، للإســهام في تعزيز الهوية الثقافية.

5-النهوض باللغة العربية: تمثل اللغة الجزء المهم من ذاكرة الشــعب والمعبرة عن ثقافته، وهي أداة التواصـــل مع الآخرين وطريقة للتعبير عن الهوية، وهذا يتطلب ضـــرورة الاهتمام بها وتعريف الأجيال بأهميتها واتقان التعبير بها واســتخدامها، وهذا لا يعني الانغلاق عليها، وعدم تعليم اللغات الأخرى، لكن أزمة اللغة العربية الراهنة هي أزمة الهوية الثقافية، الأمر الذي يتطلب التركيز على التصـــدي للعوامل التي تضـــعف من شـــأن اللغة العربية لتعزيز الهوية الثقافية (عبد اللطيف،2023).

نخلص من ذلك أن الهوية الثقافية هي الوعي بالذات الثقافية التي تحترم القيم السائدة في المجتمع وتحترم قبل ذلك القيم الدينية التي يســـتند إليها المجتمع في تســـيير أمور الحياة وضـــبط ســـلوكيات الأفراد، ولا يتأتى هذا الوعي إلا بإدراك القيمة أو العمق الحضـــاري الذي ينتمي إليه الفرد، ولتعزيز الهوية الثقافية لأبد للأفراد من احترام التعددية الفكرية والثقافية التي تنمي فيهم روح التسامح والتقبل للآخر، وأن يكون للتراث الثقافي في المجتمع دورا في صناعة الحاضر والاستفادة من تجارب الماضي لتصحيح مسار المستقبل.

ويتحقق ذلك من خلال تربية النشء على الاعتزاز بالهوية واحترام الإرث الثقافي الذي نُقل إليهم من الأجيال الســابقة بصــفة متواترة واعتباره مصــدراً لهويتهم الثقافية واعادة بعثه مرة أخرى طبقا لتاريخ وخصــوصــية المجتمع، إن طمس تاريخ المجتمع أو الالتفاف عليه يعد أحد الوسائل الناجحة لإخفاء الهوية وتهميشها وفصل المجتمع عن جذوره، مع التأكيد على ضرورة الانفتاح على الثقافات الأخرى، وأن ينهل منها ما يســهم في تطور شــخصــيات الأفراد وبناء مجتمعهم.

التوصيات:

1-ضـــرورة الاهتمام بالتراث الثقافي ونشـــره والكشـــف عن دلالته وأبعاده والعمل على جرده وحصـره وتصـنيفه من خلال مراكز معتمدة ومتخصـصـة بجمع التراث ومعرفة كيفية الحفاظ عليه، وسيشكل هذا الاهتمام اللبنة الأولى والأهم في توظيفه.

2-التأكيد على دور المؤسسات التربوية في تفعيل التراث الثقافي في البرامج الثقافية والتعليمية، ودعوة وسائل الإعلام لنشره بهدف حمايته وتوثيقه، لبعث جيل من الشباب الواعي لتراثه.

3-التأكيد على الدور الذي يجب أن تلعبه النخبة المثقفة والمتخصصة في قضايا التراث، في التصدي لمظاهر وتأثيرات العولمة الثقافية، وفي إبراز المعالم المميزة للتراث والمعبرة عن ثقافة المجتمع بكل مقوماتها وأبعادها.

4-تقوية العلاقة الرابطة بين التراث الثقافي والهوية الثقافية لإعداد أجيال واعية بهويتها الثقافية وتراثها الثقافي، لإيجاد هوية محددة وواضـــحة تكســـب هذا الجيل مناعة وحصـــانة ضـــد كل الثقافات الوافدة.

5-إجراء دراسات ميدانية للتنقيب عن العناصر المادية للتراث للإسهام في ترميم المتهالك منها والتشـجيع على تنشـيط قطاع السـياحة والذي يسـهم في التعريف بهذه العناصـر وتحقيق تنمية اقتصادية للمجتمع.

المراجع:

1-أمال، حيرش بغداد ليلى. الأشـــكال التعبيرية للتراث في المجتمع الجزائري" عادة الاحتفال بالناير" في كتاب الموروث الشعبي والهوية الوطنية، تأليف جماعي، دفاتر مخبرية تصدر كل سـنة عن مخبر حوار الحضـارات، التنوع الثقافي وفلسـفة السـلم، جامعة مسـتغانم، الجزائر، 2014م.

2-خلف، بشير. التراث والهوية، التماهي والتكامل، ديوان العرب. 2010م، تاريخ الاسترجاع 12-2-2023. https://diwanalarab.com29/5/2010

3-مرســـي، محمد عبد العليم، المعلم. المناهج وطرق التدريس، الطبعة2 ، دار الابداع الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة،2010م.

4-بلوفة، بلحضري، الممارسات الثقافية الجزائرية في زمن التقنية، الموروث الشعبي والهوية الوطنية، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم جامعة مستغانم، الجزائر، 2013م.

5-عبد اللطيف، خالد، الهوية الثقافية، دنيا الوطن. تاريخ الاسترجاع 13-2-2023 تاريخ النشر 4-3-2017/ pulpit.alwatanvoice.com

6-الحسن، يوسف، حفظا للذاكرة الجماعية، وقائع الملتقى العربي الأول للتراث الثقافي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، من 6-8 فبراير، المكتب الاقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي، 2018م.

7-حنفي، حسن،التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، الطبعة 4، مؤسسة هنداوي،2019م.

الحاسي، أحمد عيسى فرج. دور التراث الثقافي في المصالحة الوطنية في ليبيا،7أبريل(سابقا)، 2021م.

8-سالي، مراد. التراث الثقافي غير المادي وأهميته في اقتصاديات التنمية المستدامة، دفاتر علم الاجتماع، 2023م.

الرسائل والمجلات العلمية:

1- مجيدة، بن شريطة فاطنة، أهمية الحفاظ على التراث وضرورة غرسه في الأجيال لضمان استمراريته. مجلة افاق للعلوم، المجلد7، العدد5، 2022م.

2-نور الهدى، مراح، إسماعيل، مهيوبي، أدوار الثقافة الشعبية في تأصيل الهوية الثقافية وتحقيق التنمية الاجتماعية مقاربة أنثروبولوجية" المجتمع التبسي نموذجا"، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، المجلد4، العدد2، 2019م ,

3- الميلودي، وجدان، أبو القاسم. دور الجامعة في تكوين وتعزيز الهوية الثقافية لدى الشباب الليبي "دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي بجامعة الزاوية"، المجلة الجامعة، المجلد1 ، العدد42، 2022م.

4-مجيدة، بن شريطة فاطمة، أهمية الحفاظ على التراث وضرورة غرسه في الأجيال لضمان استمراريته، مجلة افاق للعلوم، المجلد7، العدد4، 2022م

6- محمد، ثناء هاشم. الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري: رؤية نقدية، مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف، الجزء الأول، 2019م.

بن علية، إسماعيل، رداف، لقمان، انعكاسات التحضر على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة الأغوار، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد16، العدد2، 2022م.

سكيك، لبنى. الإذاعة بين ترسيخ الهوية الثقافية وتوطين التكنولوجيا الرقمية، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 14، 2022م

10-باحمد، أسامة. قراءة سوسيولوجية للموروث الثقافي بين تنائية التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية-بحوث ودراسات، المجلد8، العدد2، 2020م.

العجارمة، أحمد فايز. محمد عابد الجابري والتراث، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد11، العدد3، 2018م.

الكراتي، ونيس محمد، اتجاهات الشباب الجامعي نحو الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة كلية الآداب، العدد 11، 2018.

الظبياني، عبد الله قاسم علي. (2021م). دور الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية: دراسة تحليلية لعدد من الأمثال الشعبية اليمنية، مجلة جامعة البيضاء، المجلد 3، العدد 2، 2012م.

شهرزاد، رفاف. التراث اللامادي العثماني في الجزائر دراسة تاريخية أنثروبولوجية، حوليات جامعة الجزائر 2020م.

السيسي، جمال أحمد، عبدالرحمن، محمد شريف، دور المدرسة في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية، مؤتمر الطفولة الثاني: العولمة والمحافظة على الهوية، جامعة جنوب الوادي-كلية التربية بالغردقة، 2009م.

بردي، صليحة، التراث المحلي والوافد في الهوية الثقافية الجزائرية، قراءة في إشكاليتي المفهوم والممارسة، مجلة التعليمية، المجلد5، العدد 15، 2018م

السيد، وليد أحمد. التراث والهوية والعولمة مقاربات أساسية، مجموعة لونارد ودار معمار لأبحاث واستشارات العمارة والتراث بلندن. 2010م. تاريخ الاسترجاع 12-2-2023.

https://repository.najah.edu/server/api/core/bitstreams/3a7ece7f-29da-4167-b44a-6c3cbfb5b5fa/content